

الدعوة الاسلاميه ، وآفاق المستقبل

الدكتور التهامى نقره

الدعوة الى الاسلام :

ان تفتح الاسلام على الحياة نابع من منهجه الشامل الذى يستوعب كل ألوان النشاط ، ماديا كان أم فكريا ، كما أن الدعوة المستمرة اليه تفرضها رسالته التى توجهت رسالات السماء ، وانتهت بها اليها .

فالمؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، خلفاؤه فى الدعوة الى دينه الحنيف ، وبث تعاليمه فى قلوب الذين لم تبلغهم رسالته ، أو لم يعرفوا حقيقتها ، كما قال فى خطبته عند حجة الوداع : (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

والمشاهدة التى توجب الاعلام ، تشمل من حضر عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأشرقت عليه أنواره بلقائه ، ومن علم بما جاء فى القرآن ، وبعلمه صارت النبوة بين جنبيه ، فقد شاهد الرسول بقلبه ، وان لم يشاهده بعينه ، فكان عليه التبليغ ، ليعم هذا الوجود الاعلام به .

وقد توعد الله الذين يكتُمون ما أنزل الله من علم الكتاب فى قوله عزوجل : ((ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) .

(سورة البقرة : ١٥٨) وفى الحديث ما يحث على نقل أقوال الرسول الى الاجيال من بعده ، حتى تعم هدايته بالرواية عنه ، وتبليغ شرعه (١) .
فقد روى الشافعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
((نضر الله عبدا سمع مقالتي ، فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم)) .

ثم ان الاسلام بوصفه رسالة الله الى الانسانية ما بقيت الحياة ، يمثل بمبادئه العالمية ، وبقرآنه الخالد : وبشخصية رسوله المثالية ، فكرة حية فى ضمير الزمن ، فلن ينطفىء نوره ، وان تألبت عليه الطواغيت ، وقوى الشر ، لأنه انساني الخصائص والوجهة ، أقيمت دعائمه على مبادئ ثابتة ، وكليات لا تتبدل وكانت فيه مع ذلك مرونة التجديد ، وقابلية التطور ، وتفتح الاجتهاد فى اطار مبادئه وكلياته .
يقول (قوت) المفكر الألماني : ((ان هذا القرآن سيبقى الى الأبد منيرا للفكر الانساني ، قوى التأثير)) .

وجدة القرآن الكريم لاتزال باقية ماثلة أمام كل تقدم فكرى بلغته الحياة حتى اليوم ، وهو كما كان جديدا على عقل انسان القرون الأولى ، عند نزوله ، فانه باشراقه ، وبما أتى به فى مجال العقيدة والشريعة ، وبناء الحياة على أقوم الأصول ، وأرسخ الدعائم ، سيظل جديدا على مر العصور والأجيال (٢)

لذلك أوجب الله أن تعيش الدعوة اليه . وأن يكون الداعى ترجمة حية لتعاليمه ، وأنموذجا كاملا لهدايته ، حتى تنعكس آثارها على

القلوب النقية . التي خصها الله بالقابلية ، ولاسيما في هذا العصر الذي شاعت فيه عادات وأخلاق ، وظهرت سبل ومنعرجات ، وتفشى الجهل بأحكامه ، فاشتبهت الطرق ، وتنوعت الفتن والمغريات ، وانتشرت المذاهب الفلسفية والاجتماعية والاخلاقية ، وأدخلت الحضارة المادية مفاهيم جديدة في الحياة ، فزيف الملحدون قيمه في نفوس المسلمين ، للحيلولة دون بعث اسلامى جديد ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)) (سورة التوبة : ٣٢) .

انه الانتخاب الطبيعى الذى تقوم به الحياة ، والاستجابة الطبيعية لنداء الفطرة السليمة ، واليقظه الاسلامية الرائعة فى المشرق والمغرب ، وانجاز وعد الله الصادق بعزة كتابة ، وسيادة دينه فى الأرض .
 ألا فليعلم الدعاة الى الله ، أن من أشد الدعوات الاسلامية تأثيرا حال المسلمين أنفسهم فى سلوكهم ومعاملاتهم ، وتفكيرهم وثقافتهم ، وتطورهم وحضارتهم . ودعوتهم الى الاسلام بأخلاقهم وأعمالهم ، أبلغ من دعوتهم اليه بخطبهم ومقالاتهم .
 ثم ان أساليب الدعوة يجب أن تكون لها صبغة المعاصرة ، حتى لاتعيش فى غربة ولايكفى استعمال مظاهر فى هذا العصر من وسائل الاعلام ، وأساليب الدعاية فى كتب منشورة ، وصحف سيارة ، واذاعة مرئية ومسموعة ، وأفلام معروضة وخطب حماسية اذا لم يخاطب الناس بلغة العصر التى يتأثرون بها ، ويتجاوبون معها ولم تنشر حقائق الاسلام بين أهله ، وفى ربوع الذين لم يدخلوا فيه بمنجية وذوق وفن وموضوعية ، نسى عنه تحريف المغالين فيه ، وتحامل الجافين عنه ،

وتنصفه من تعصب المحبين ، وافتيات الحاقدين .
 فان من أشد الاسائات الى الاسلام أن تلتصق به تشويهات زرية ،
 أو يلبس أثوابا مزورة تطبعه فى نفوس البسطاء من أذعياء التطور
 والثورية ، بطابع السذاجة والرجعية ، دون تمييز بين الأصل والدخيل ،
 ولا بين الحقيقة والزيف ، حتى ترسخ فى الأذهان صور عنه منفرة ، كما
 نرى ذلك أحيانا فى تمثيل شخصية المأذون والمؤدب والقاضى
 الشرعى على المسرح ، أو على الشاشة ، مايجعل منهم أضحوكة
 وسخرية للعابثين ، الذين ينتمون شكلا الى الاسلام ولكن علاقتهم به
 واهية ، لاروح فيها لا قداسة .

وما أكثر المسلمين الذين يعيشون اليوم بين غربة روحية ، وازدواج
 فى الشخصية ، وانفصام عن الذاتية .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بدأ الاسلام غريبا ،
 وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)) (أخرجه البخارى عن أبى
 هريرة) .

فقد كان الرجل فى الجاهلية - اذا أسلم - غريبا بين أهله وعشيرته
 الذين يجفونه ويتوعدونه ، كما صار المسلم اليوم غريبا بين أقوام
 يتهافتون على الدنيا ، وقد ظغت عليهم أهواؤهم ، فضلوا وأضلوا ، ولم
 يجد الدين منفذا الى قلوبهم ، مثلما وجدت الحضارة المادية المعاصرة
 ويعجبني فى هذا الصدد ما ذهب اليه الشيخ المراغى فى تفسير

للحديث عند تقديمه لكتاب محمد حسين هيكل (حياة محمد صلى الله
 عليه وسلم) (ان غربة الاسلام فى بدئه أنه ظهر وقوى فى الم
 ولم تكن دار الاسلام الأولى ، بل هى دار غربة له ، بالنسبة الى ما

وغربته فى آخر الزمان : أن يعتريه ضعف بعد أن ظهر ، ثم يعود الى الظهور بين أقوام غرباء عنه من غير أهله ، فيقيض الله له أمة قوية تدين به وتحميه ، ويعود بها الى الظهور من جديد .

وسواء فسرنا غربه الاسلام فى آخر الزمان بقلة ما يعمل به المسلمون من تعاليمه ، أو يضعف المسلمين وهوانهم ، أو بضعف الوازع الدينى فى ضمائرهم ، أو بغرابة مبادئه على النفوس ، فانها لا تخرج فى مجموعها عن غربه الاسلام الروحية والفكرية فى نفوس بعض المسلمين مما نشاهد بعضه اليوم من تنكر لمبادئه ونظمه وأحكامه وتشريعاته ، رغم ما نراه فى الوقت ذاته من اقبال على اعتناقه فى أوروبا وأمريكا وأفريقيا .

وقد قال المطران الأنقليزى ((دافيد براون)) وهو ممن عرف بدراساته الاسلامية : (الاسلام دين يعتنقه اليوم مليون شخص من مواطنينا البريطانيين) (٣) .

وفى السنة الماضية اعتنق الاسلام

معظم سكان قرية بانكلترا

وكان مما يلفت النظر اهتمام الصحف والمجلات فى الغرب ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بتحليل عوامل اليقظة الاسلامية وأبعادها وأهدافها ، فى خضم هذا الصراع الفكرى والعقدى الحاد ، الذى تميز به العصر ، خصوصا حول قضايا المجتمع الاقتصادية والثقافية والسياسية ، على تفاوت بين الكتاب والباحثين من حيث الموضوعية والنزعات الشخصية ، ومن حيث التجرد والنزاهة ، والأحكام المسبقة والدرس... (٤) .

وقد تجلت ظاهرة الاهتمام الغربى بالاسلام ومستقبله بعد أحداث ثورة ايران ، وانتصاراتها ، وبعد دعوة المؤتمر الاسلامى كافة الأقطار الاسلامية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر ، واعداد برامج لهذه الاحتفالات تحفز الهمم ، وتحىي العزائم ، وتبعث الروح النضالية من أجل مستقبل أفضل ، وهذا الاعداد سيعطى نفسا جديدا للدعوة الاسلامية ، يكفل استمرار جهود التوعية والاحياء والتنمية ، بل سيضاعفها ويزيد فى دعمها وتطويرها ، تبعا لتطور الفن الاعلامى بالصورة والكلمة ، كما أوصى بذلك المؤتمر الاسلامى فى اجتماع اللجان الوطنية بمكة المكرمة سنة ١٩٧٣ م .

لقد أضحى الاعلام فى هذا العصر وسيلة توجيهه للأفراد والجماعات بالغة الأثر ، حتى أصبح - أوكاد - أداة استلاب واستيلاء على الأفكار والعواطف ، فى ترويج النظريات والمذاهب ، بل وترويج البضائع والمنتجات للاستهلاك ، فكيف لا تتطور وسائل الدعوة الى الاسلام .

ثم ان تأثير الداعى بشخصيته اللامعة ، وصحته النفسية ، وإشعاعه العلمى والروحى ، وبما يملك من قدرة على التحليل والبيان والاقناع ، ومن عمق فى التفكير ، والمام بمشاكل العصر وقضاياها ، وإطلاع على الثقافات المعاصرة ، وما يروج فيه من مذاهب فلسفية ، وايدولوجيات اجتماعية ، كل ذلك من أقوى العوامل الأساسية التى تمكنه من أداء رسالته على النحو المأمول ، وتفتح له آفاق الدعوة ، وتشق له طريق النجاح ، كما فتحتها من قبل لعلماء أعلام لمعت أسماؤهم قديما وحديثا ، مثل : الغزالي ، والبصرى والافغانى والمودودى وغيرهم ممن

أحيوا الضمائر وأيقظوا المشاعر ، وأنعشوا روح الايمان فى اعماق الوجدان ، وجعلوا من الاسلام بسلوكهم وبتفانيهم فى خدمته ترجمة حية له ، وصورة ناطقة عنه .

ومن هنا فانه لايكفى لأجيالنا الصاعدة الحماس الفياض وحده ، ان لم نجعل نحن من الاسلام نبراسا نسير على هديه فى يومنا الراهن ، وفى غدنا المرجو ، والا أصبح هتافات نفسية عابرة ، وهزات عاطفية خاطفة ، فاقدة لكل أثر ايجابى ، أو نفع عملى فى حاضرنا المشهود ، ومستقبلنا المنشود (٥).

عقبات فى طريق الدعوة :

والعقبات التى تعترض طريق الدعوة ونجاحها وتأثيرها كثيرة ومتنوعة : منها مايتصل بالهيئة السياسية والاجتماعية ، ومنها مايرجع الى شخصية الداعى ومواقفه من قضايا العصر .

فالمجتمعات التى اخذت الحضارة المادية من اصالتها وتقاليدها كل مأخذ ، و أذابتها فى بوتقتها - فسرى فيها داء التفسخ والانحلال ، لم يجد الدين منفذا الى قلوب ابنائها . لانهارانت عليها الاهواء والنزوات ، واستبد بها حب الدنيا فاعرضت عن تعاليم السماء واخذت الى الارض .

وقد نجد فى هذه المجتمعات التى أفسدها زيف الحضارة ، وشغلها القشر عن اللباب ، علوما وخبرات لدى بعض أبنائها ، ولكنها المساومات الأجنبية وللمكاسب الشخصية ، وكم تركت هجرة الأدمغة عن البلاد النامية من فراغ ، رغم ما أنفقته من جهود وأموال فى تكوينها .

كما نجد فى هذه المجتمعات قوة وشوكة ، ولكن للبغى وقهر المستضعفين ومقاومة حرية الانسان الاساسية ، وقد تكون فيها ثروات، ولكن للترف والتفاخر والاستعلاء وقد يكون فيها ذكاء ، ولكن للمؤامرات والاحتيالات ، بحيث لاتوجه هذه الطاقات الحية وجهة سليمة ، تنفع الأمة وترفع من شأن الوطن .

وفى مثل هذه المجتمعات المترفة ، أو المبهورة بحياة الغرب ، أو المجذوبة بتيارات العصر ، سيجد الداعية عقبات فى الطريق ، فلا بد له من التحلى بالصبر والأناة والثبات والمثابرة ، والاعتزاز بقيم الاسلام الخالدة ، ونشرها بين الناس حتى يرسخ فى أذهانهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)) .

ومصاعب الدعوة فى أوساط المترفين المتحللين ، أنهم يطلقون لأهوائهم العنان ، ويرخصون القيم العليا التى لاتعيش المجتمعات الراقية الا بها ولها ، ويعيشون فى الأرض فسادا ، ويحولون النفوس بتأثير العدوى والاغراء الى أدوات تستهلك ولا تنتج ، وتتمتع ولا تعب .

وطبيعة هذا المرض الذى يكون من أعراضه اللهو والفراغ والاسراف ، أنه يفقد القلوب تلك الحساسية التى بها تتلقى وتتأثر وتستجيب ، فتضيق بحياة الكدوالجد ، لأن المترف مريض بالنعيم والرخاء لا يستطيع أن يخوض غمرات الحيات على ماهى عليه من عسر ويسر ، ررجل الحياة هو الذى يلابسها كما هى فى جميع أوضاعها وتقلباتها .

وقد أدرك المربون فى الأمم الغنية المتقدمة ضرورة مقاومة

أمراض الترف لدى أبناء الاثرياء ، فحاولوا علاجه بالجنديّة ، وبالرياضة العنيفة ، وبالرحلات الشاقة ، والمغامرات في مجاهل الأرض وأعماق المحيطات (٦) .

ومن تناقضات بعض المجتمعات الاسلاميّة أنه يوجد فيها الى جانب هؤلاء المترفين طبقة بائسة شل تفكيرها شعورها بالهوان والحرمان ، يستنزف جهدها ويجف عودها ، وتستغل طاقتها ، ثم يرمى بها حطاما في زحمة الحياة .

ان هؤلاء التعساء تائهون عن حاضرهم ، فضلا عن غدهم . وهيهات أن يؤدي الدين رسالة ، أوثمر تعاليمه في جو خائق ، وفي بيئة عقيمة . وكيف يستطيع الواعظ أن يملأ قلب انسان بالهدى ، اذا كانت معدته خالية من الغذاء ، أو يكسوه بلباس التقوى اذا كان بدنه عاريا ؟ بل الواجب قبل كل شى أن يؤمن على ما يقيم أوده كانسان ، ثم ينتظر بعد ذلك أن تغرس في قلبه مبادئ الايمان .

يقول الشيخ محمد الغزالي : (كثيرا ما عالجت وعظ الناس في بيئات صرعها الفقر والمرض والجهل ، فكنت أحرار... ماذا أقول لهم هل أقبح لهم الدنيا كما يظن أنه مفروض على علماء الدين ؟ والدنيا لن تكون أقبح مما هي عليه في أعين هؤلاء التعساء ، وحاجتهم الى من يعرفهم أركان الحياة ، أمس من حاجتهم الى من يعرفهم أركان الاسلام ، وجمهورهم لا يدرى إلا ساليب الصحيحة للزراعة والصناعة والتجارة ، فضلا عن أن يعرف كيف يعامل ربه واخوانه وحكامه .

أعرفهم بالله عزوجل ؟ ومعرفة الله لاسبيل اليها الا بعد معرفة

النفس ، فان من عرف نفسه ، عرف ربه ، وهؤلاء التعساء ذاهلون عن أنفسهم (٧).

واذا لم يكن الداعى ملما بالمشاكل الاجتماعية القائمة فى بلده ، لا يهتدى الى طريق العلاج والحل ، ولا يكون موضوعيا فى دعوته ، ولا يحسن اختيار الموضوعات الحية ولا ترتيبها بحسب الأولويات ، وبحسب الظروف . فقد يكون فى التذكير والتعريف بمبادئ العدالة الاجتماعية فى الاسلام كالتكافل الاجتماعى وتكافؤ الفرض بين الجميع ، والتخطيط الاقتصادى الذى يقرب الى العدل فى توزيع الثروة واستثمارها ، مافيه تبصرة لأولى الأمر الذين لا يستغنون عن التذكير والنصح ممن لا ينتصب الى زعامة ، ولا يدخل فى خصومات ولا يثير الفتن .

وقد قال على كرم الله وجهه : (ان للقلوب شهوات واقبالا وادبارا ، فائتوها من قبل شهواتها واقبالها ، فان القلب اذا أكره عمى عن الحقيقة) .

فالداعى مصلح بالتوعية ، والتوجيه ، وليس الاصلاح تعنيفا ، ولا اساءة ، ولا اثارا أحقاد ، كما أنه ليس من الحكمة فى الدعوة فصلها عن هموم المجتمع وشواغله ، وعزلها عما يستأثر باهتمام الأمة ، والا انفصل الدين عن الحياة ، واضحت الدعوة اليه عملا هامشيا ، قليل الجدوى ، لا يمد ضياء ولا يحل مشاكل .

فالحكومات الاسلامية التى ترى فى الزحف الأحمر خطرا عليها وعلى الاسلام ، يجب تبصيرها بأن شرارة الخطر ، انما تنقذ من الداخل ، قبل أن تأتى من الخارج ، وذلك عند انتشار البطالة والفقر

والحرمان ، وتفاقم الثراء والتترف عند طبقة محظوظة ، وانعدام مايكفل حاجات المواطن الضرورية ، وما يصون وجهه وكرامته فى بلد تدر عليه ثروته الطبيعية مالا تدره على بلد أوروبى ، ويرتفع فيه الدخل القومى للفرد ارتفاعا يدعو الى المقارنة والتساؤل والبحث عن مصدر العلة .

فاصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى الداخل كفىل بتحقيق الرقى والاستقرار ، ودعم الأمن ، والوقاية من الانتفاضات ، التى تهدر الطاقات ، وتسيل الدماء ، وتشل حركة التنمية ، وتوقف سير الحضارة .

ولاننسى أن من الحلقات المفقودة فى أنظمتنا الاجتماعية ، الوعى العام اليقظ الحارس للقيم المعنوية فى الجماعة ، الذى يشكل بدوره رأيا عاما يرهبه الحاكم والمواطن على السواء ، ويجعل كل باع على حق غيره ، وكل خائن لأمانته ، وكل معتد على الفضيلة ، وكل أنانى مهمل لواجبه ، وكل خارج من الآداب فى صورة من الصور ، يشعر بالحرمان من عطف المجتمع وتقديره ، وبخزى الضمير ، تحت نظرات السخط والمقت ، وبسهم النقد لتصرفاته اللامسؤولة تصوب نحوه ، حتى يراجع نفسه ، ويعدل من سيرته ، ويصلح ما أفسد ، ويتدارك ما فات .

وللرأى العام الواعى دوره الخطير فى التصدى لسلوك الرعونة والطيش ومواقف الاثم والبغى ، وتصرفات الباطل والفساد ، فنحن فى حاجة الى رأى عام أخلاقى له نفوذه واحترامه فى نفوس كل الأفراد ، بحيث يشعر كل أمرئ أن اساءته دقت أو جلّت ، ولاسيما المسؤولون ،

ستلقى جوابا سريعا علينا فى سلوك المجموع بازائه (٨).
ومن يستطيع تكوين الرأى العام وتربيته فى البلاد الاسلاميه غير
الدعاة الى الحق والمثل العليا ، أولئك الذين يبدؤن النصيحة
بالحسنى لكل من زلت به قدمه ، فيذكرونه كلما نسى ، وينبهونه كلما
غفل ؟

وياليتنا حين نجأ بالشكوى فى الخفاء ، نضعها فى موضعها دون
تحامل أو مغالاة ، بل دون مغالطة أو مجاملة نخدع بها المسئول ،
فيتمادى فى ضلاله ، ولا نجرؤ على مواجهته ومكاشفته بما لا يدع
مجالا للشك فى نزاهتنا وصدقنا ، وحبنا للخير والاصلاح .

فلاجبن ولا تهور ، ولا استكانة ولا تمرد ، ولا تملق ولا صلف . ومن
معوقات الدعوة ، ما نرى بين الدعاة أنفسهم من اختلاف فى الرأى
والحكم اختلافا يثير الشك والبلبله ، أكثر مما يعبر عن تنوع وجهات
النظر فى قضية من القضايا الدينية ، اذ ليس منشؤه النظر والاجتهاد ،
بل منشؤه شخصية الداعى ، وما يتسم به من تفتح أو تزمت ، ومن
اعتدال أو تطرف ، ومن التزام حرفى بالنص ، ومن تصرف فى حدود
بحسب الظروف والأوضاع ، وكثيرا ما يمزج بنفسه فيما ليس من
اختصاصه فينتصب للافتاء ، ويحكم بالتحليل والتحرير بصورة مطلقة
فيما يحتاج الى تفصيل وتقسيم ، وكل ذلك مما يؤدى الى خصومات
سياسية تعرض الدعوة الى الشك وسوء التأويل ، حتى لنسمع من
الساسة من يصرح بمثل هذا القول : لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى
السياسة .

والحقيقة التى لا مرأى فيها ، أن السياسة فى الدين تقوم على

تنبتق عنه من قيم روحية : فكر دخيل روجته الحضارة المادية المعاصرة، يطرق النفوس فى عنف القوى ، ومغالطة المسيطر ، وتستخدم فى شيوعه مختلف الوسائل الحضارية الفنية المعزية التى تتلقفها القوى المحلية الاعلامية ، فلا تترك مجالاً لتأثير التوجيه الدينى أو تدع الداعين ، الى القيم الاسلامية فى مظهر الضعيف المتخلف الذى لا يقوى على الحياة ، فضلاً عن المواجهة (١٠) .

ولست الدعوة فى هذا العصر خطبا حماسية تمجد الاسلام ، وتندد بكل ما جاءت به حضارة العصر جملة وتفصيلا ، وتنقم على الناس ، وتتهمهم بالمروق والفكر تارة ، بالانحراف ، والجاهلية أخرى، ولاهى قائمة من الأوامر والنواهى ومطالب الاصلاح والتغيير ، فان هذا المنهج قد يفسد ولا يصلح ، وقد يقطع أوامر الود مع الناس ، لأنه يحقر أعمالهم ، ويجعل الذين لا يوالونهم ولا ينتمون اليهم خارجين عن الجماعة الاسلامية على اعتبار (من ليس منا ، فهو خصم لنا) ، بل ان الاتصال بهؤلاء فى الدعوة أوكد لمحاولة كسبهم والافادة منهم، ولا يجوز بحال التعالى عليهم ، فان مزاق الغلو والغرور والصلف تنأى بأصحابها عن تأليف القلوب ، وتقريب النفوس ، ولعل أصل الانحراف هنا هو تصور جماعات قليلة العدد ، لاحجة لها فى شى ، ولا طاعة لها على أحد ، بأنهم - وحدهم - جماعة المسلمين .

ان عناصر المجتمع ازاء الدعوات والأفكار ثلاثة أصناف : مؤيد ، ومحايد ومعارض . منهج الدعوة فى مضمونه الحركى يقوم على ولاء الموالين ، ومحاولة كسب المحايدين والمتردددين ، والسعى الى تحييد المعارضين ، ومن هنا فان الداعى لا يجوز له أن يتجاهل الناس من

حواله ، أو يقصر علاقاته على الموالين وحدهم . (١١) .

المقومات الأساسية للدعوة ، معرفة ، وفن ، وإخلاص . وهيهات أن ينهض بأعبائها في هذا العصر من افتقد أحد مقوماتها أو جلتها ، انه قد يسيء اليها والى الاسلام من حيث لا يشعر .
ولماذا يتصدى للدعوة من لم تكن له قدم راسخة في العلوم الاسلامية ، أولم تكن له خبرة بطرق العرض العصرية ، وأساليب الاقناع والتأثير ، في حين يقعد العلماء الكفاء القادرون عن أداء هذا الواجب ؟

أليست الدعوة الاسلامية فريضة دينية ترجع الى قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

أليست تدرجا في معاملة النفوس بالحسنى ، واقترابا من واقع الناس طلبا لهدايتهم ؟ فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم من ثقيف اسلامهم ، واشترطوا ألا صدقة عليهم ولا جهاد .

روى عن وهب قال : سألت جابرا عن شأن ثقيف اذ بايعت ، فقال : اشترطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله يقول بعد ذلك : ((سيتصدقون ويجاهدون ان اسلموا)) .

وسألوه مع ذلك ألا يصلوا وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، والايكسروا ولا يحبوا ، ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فقبل صلى الله عليه وسلم منهم وقال : ((أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلاخير في دين لاصلاة فيه)) .

ثم أمر عليهم واحدا منهم ، وكان من أحدثهم سنا ، وهو عثمان

الحفاظ على تراث الأمة ومقدساتها ، وقيمها الروحية وتزكيتها ،
 ودفعها الى الانشاء و احياء الطاقات المبدعة فى حكمة واتزان ، كما أن
 الدين فى السياسة يقوم على أخلاقية السياسية ذاتها ، حتى تتجه فى
 طريق حميد العواقب ، يكتنفه الأمن والعدل والوفاء بالحقوق الفردية
 والاجتماعية للأمة ، ويجنبها المزالق والمغامرات والاختطار ، بما يسديه
 الدعاة الى الحق من نصح الذين تولوا أمر المسلمين ، عملا بالحديث
 النبوى الشريف ، وما انتشر الاسلام الا بأصالة المنهج الذى سار
 عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن فهمهم للاسلام ،
 وتطبيق تعاليمه بالقدرة ، والدعوة اليه بالحكمة ، كما أمر القرآن .

وإذا كانت الكليات الأساسية والمبادئ العامة فى الدين هى موضع
 اتفاق فى الغالب ، ينتهى فيها الجدل بعد أن قال الله كلمته الحاسمة ،
 فان رأى المبنى على الاجتهاد ، لايجوز أن يتحول الى عقيدة تسمو
 عن النقاش ، فان آراء الناس تختلف اختلافا كبيرا فى الشؤون
 الاجتماعية والسياسية فى هذا الخضم الهائل من الصراع الأسمى
 والايديولوجى ، وتنازع النفوذ الدولى فما يصلح لقوم ، قد لا يصلح
 لآخرين ، وما يصلح لهم فى وقت قد لا يصلح لهم فى وقت آخر (٩).
 ومحاولة التغيير الكلى السريع كثيرا مايتوه بالفشل الذريع ، وتفت فى
 العزائم ، وتبعث على اليأس والتشاؤم .

فالمصالح الدنيوية المتداخلة تتفاقم ، ومشكلات العصر
 المعقدة تتراكم ، والمجتمعات الاسلامية لها خصائصها ومشاكلها
 التى تتفاوت فى أهميتها من زمن الى زمن ، ومن بلد الى بلد ، وبعضها
 مايزال يتأرجح بين فكر أصيل موروث ، هو الفكر الاسلامى ، وما

بن أبي العاص الذي قال: ((آخر ما عهد الى رسول الله حين استعملنى على الطائف ان قال : ((واذا أمت قوما فخفف بهم الصلاة ، فانه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة)) (١٢).

فأين هذا التيسير ممن تغالوا ، فنفروا وكفروا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((يسروا ولا تعسروا وسددوا وقاربوا)) . ونهى أصحابه عن قولهم لمن شرب الخمر : أخزاه الله ، وعلمهم قائلا : ((لاتقولوا هكذا ، ولا تعينوا عليه الشيطان))

يروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شى ، فاعطاه ، ثم قال : أحسنت اليك ؟ قال : لا ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا اليه . فإشار عليهم أن كفوا ، ثم قال فدخل منزله ، ثم ارسل الى الاعرابى ، فدعاه الى البيت ، فزاده شيئا ، فرضى . فقال صلى الله عليه وسلم : ((انك جئتنا فسألتنا فاعطيناك ، وقلت ما قلت ، وفى أنفس المسلمين شى من ذلك فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك)) قال : نعم فلما كان الغداة جاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان صاحبكم هذا كان جائعا ، فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وانا دعوناه الى البيت فأعطيناه فزعم أنه قد رضى ، أكذاك ؟)) .

قال الاعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الا ان مثلى ومثل هذا الاعرابى كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها الا نفورا .

فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فأنا أرفق بها . فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض ، فجاءت فاستناخت ، فشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه ، دخل النار)) (١٣) .

وصدق رسول الله ، فانه يؤخذ باللين والرفق ، مالا يؤخذ بالشدة والعنف وقد أورد الامام البخارى جملة من الأحاديث النبوية رد بها على الخوارج الذين قالوا بكفر من ارتكب كبير بين المسلمين . وما أكثر أن نقرأ ونسمع وصف مجتمع اسلامى بأنه (مجتمعا جاهلى) ، أو (جاهلية هذا القرن) ، أو نحو ذلك من الاوصاف التى تكال جزافا .

فالنبي ، صلى الله عليه وسلم لم يقل لأبى ذر حين فعل خطأ ما يفعله أهل الجاهلية : انك من أهل الجاهلية ، بل قال له : ((انك امرؤ فيك جاهلية)) . كما لا يجوز أن نطلق وصف الكفر على الذين أقروا بالشهادتين ومهما بلغت معاصيهم وانحرافاتهم ، فلاتخرجهم عن الايمان ، ولاتزيل عنهم أخوة الاسلام ، ولا تجعلهم مطرودين من رحمة الله . فحسب الدعوة الى الله على بصيرة أن يدعوهم الى الحق ويزينوه لهم ، ويرغبوهم فيه ، ويصدوهم عن الباطل وينفروهم منه . وما عليهم بعد ذلك من حسابهم فى شئ ، وانما حسابهم على الله . قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ((فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)) (سورة الغاشية : ٢) .

ورحم الله الحسن البصرى اذ يقول : « العامل على غير علم كالسالك على غير طريق وأن قوما طلبوا العبادة ، وتركوا العلم ، حتى

خرجوا باسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو طالبوا العلم ،
لم يدلهم على مافعلوا)) .

فمن التصورات الخاطئة أن تصدر أسباب بعدنا عن الاسلام ، اننا
طبعنا حياتنا كلها بطابع العمر ، وتنكبنا عن منهج السلف ، ناسين
ماتردينا فيه من جهل وغفلة ، واستبداد ، ونفاق ، وتنافر ، واطماع
وعبث بالقيم الروحية ، واهدارلكرامة الفرد ، واحتكام للقوة ، ومصادرة
للحريات الأساسية ، وظلم اجتماعى فى توزيع الثروات القومية ،
وخلافات تهز الوحدة من جذورها ، تبعية اجنبية ماحقة للذاتية ، رغم
وثائق الاستقلال وممارسة مظاهره ، وتقدمية جارحة ، الفت الدين لتحل
محله تحت ستار الثورة .

ان هذا الركام الذى ارتكس فيه المسلمون ، وكان حجة
على الاسلام ، وقف عائقا بينه وبين من يلتمس الحق فيه ، وهو يحتاج
فى تصفيته الى مخططات وجهود ، حتى لايتهم الاسلام بالجمود
والانعزالية ، أو بعد القدرة على الحركة الهادفة المنظمة ، لمتابعة
الاحداث المتجددة ، والعكوف على مسائل ثانوية أو هامشية أو جزئية
بالنسبة لقضايا الاسلام الكبرى فى هذا العصر ، تلك التى تفجر فى
الامة طاقات القدرة على العطاء والاختراع والابداع ، وتحريك
التاريخ ، وتقديم الحلول العملية الواضحة . فان الصحوة الاسلامية لن
يعد يتسع صدرها للنزعة الدفاعية ، أو الاعتذارية التى ينكفى اصحابها
على جوانب العظمة فى ماضيهم ، ويكثرون على مسامع الدنيا ، أنهم
جديرون بالتقدير والاعتبار شعورا بنقص دفين ، وبالعجز عن مواجهة
المنافسين والخصوم بالمثل ، وهى فى جوهرها مسلك سلبى هروبى

عن الحاضر والمستقبل ، ولا للنزعة الهجومية التي تكتفى بلعن الزمان ،
وادانة الجميع ، وتحريم كل شيء ، والمطالبة بالغاء هذا النظام ، أو
الحجر على ذاك الملوك .

ذلك أن الحياة لا بد أن تستمر وأن تسير . وحركتها سنة من سنن
الله ، لا يملك أحد أن يقف في وجهها ، أو يردّها الى الماضي ، وانما
يحتاج الناس من دعاة الاسلام أن يقدموا لهم بديلا حقيقيا مما هم في
حاجة اليه ، ويطلب منهم الغاءه . وهذا هو التحدى الحقيقى الذى
يواجه دعاة الاسلام . وليسوا وحدهم يتحملون المسؤولية . وانما
يشاركهم فيها جميع العلماء والمجتهدين وأهل الذكر فى علوم الدين
والدنيا على السواء .

اما اذا بقى المسلمون عاجزين عن تقديم السلوك البديل ،
والنظام البديل والمنهج البديل ، فان الدعوة الى الاسلام لن تستقل
بعقول الناس وقلوبهم ، الا بقدر مايكتشفون العجز الذى يعانيه
المسلمون عند البناء والممارسة والتطبيق (١٤).

الدعوة ومستقبل الاسلام

فالدعوة الاسلامية تواجه مشاكل وتحديات من الداخل والخارج
لا يمكن تجاوزها الا بمضاعفة جهود علماء الدين وعلماء الحياة
وتضافرها على حل الأزمات ، ووضع مخططات عملية طويلة النفس ،
يدخل فيها تنظيم علاقات المجتمع وعلاقات الدول الاسلامية نفسها ،
ثم علاقاتها بغيرها من الدول ، ولا سيما الدول الكبرى التى قل أن
تمنح شيئا بلا ثمن ولاهدف ذاتى .

فنعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى ما أمكن ، حتى لاتذلنا الحاجة ،

أو تنحني رؤسنا أمام الرغبة الملحة ، فنقبل كل معونة مشروطة ،
ونسلم زمام أمورنا ونستسلم الى مايراد منا أن نفعل .

فتقدم الغرب علينا فى ميادين الصناعة والفلاحة والتجارة والنقل
والمواصلات ووسائل الاعلام ، وفى سائر المهارات والعلوم التقنية ،
وتخلفنا عنه فى هذه الميادين لما يوسع الهوة الفاصلة بيننا وبينه ،
ويضاعف شعوره بغرور التفوق وشعورنا بالنفس ازاءه .

وكفى ما دأبنا على ترداده دائما ، من أن حضارة الغرب المادية
آيسة الى الوهن والافلاس ، وأن مستقبل الاسلام رهين بمصير
المسلمين فى المجال الحضارى ، وفى كل ماله اتصال بحياتهم المادية
والروحية ، على اعتبار أن ذلك فى طبيعة المقومات الاساسية
للشخصية ، لما له من ارتباط وثيق بالعقلية ، وبالارضية التى يعيش
عليها الاسلام وينطلق منها .

فنحن نرى اليوم رغم ما قيل وما يقال من حضارة الغرب ، ورغم
الثنائية فيها بين رجل الدنيا ورجل الدين ، وبين التعاليم المسيحية
والقوانين الوضعية وبين الكنيسة والدولة ، وبين العلم والعقيدة - أن
المسيحية أكتست هالة من التقديم رغم ذلك كله - بفضل تقدم ابنائها
علميا وحضاريا ، حتى صارت جزءا لا يتجزأ من مقومات الشخصية
الأوروبية ، وناهيك بأثر الاحزاب المسيحية الغربية فى الحياة العامة ،
وبدور الحركات التبشيرية فى بلدان آسيا وأفريقيا ، فى حين أن
الانقسام والثنائية والازدواجية فى حياتنا أشد وأقوى .

ولم يقوى احساسنا بأن الاسلام الذى ننتمى اليه ، ليس جزءا من
مشوهات . شخصيتنا لما نعيش فيه أحيانا ، من غربة وتناقضات

وسلبيات ، وفراغ روحى ومادى . فهل ارتفعت الأمة والفقر والأمراض الناتجة عن سوء التغذية وانعدام النظافة عن جماهير الشعوب الاسلامية وهل زال التراشق بالتهمة والشتائم بين حكوماتهم عن طريق وسائل الاعلام الحديثة ؟ وهل خرجوا حقا من عصور الظلام والتخلف والفوضى ، ونظموا صفوفهم لمواجهة الخطر الصهيونى والأمبريالى الماحق ، بعد أن يأمن بعضهم بعضا ؟ وهل أزلنا ما أرتنا الاعداء من نيران العداوة بين العروبة وبين الاسلام ؟ الذى لا يستطيع أن يفصم روابطه بها روحيا ، لأن منها بيثة الاولى ونبيه وأبطاله وقرآنه وحديثه ، حتى امتزجت كلمة (عربى) بكلمة (مسلم) فى اذهان الملايين من المسلمين ؟

وهل أخذنا من العلوم الصحيحة حظنا ، وتفتحنا على الحضارات ، لاقتباس ماينفعنا فى الصناعة والفلاحة وال عمران ، وتركنا القشور ، وما يتنافى مع أخلاقنا وتقاليدنا ؟

وهل غيرنا ما بأنفسنا ايماننا منا بأن حالة الأمم فى عقائدها ومعارفها وعلومها وأخلاقها وطرق عملها ، هى الأصل فى تغيير ما بها من ضعف وفقر وتخلف ؟

هل خرجنا من طور الخطب والتوصيات والقرارات ، الى طور التنفيذ والعمل والتطبيق ؟ وهل ، وهل ، وهل الخ ...

جملة طويلة من التساؤلات تفرض نفسها على نفس كل مسلم يتوق الى غد أفضل وحياة أسعد . والمؤسف أن أكثر ماتكون الاجابات عليها بالنفى .

ان الصحوة الاسلامية تفرض على المسلمين وحكامهم حيثما

كانوا ، أن يعتبروا عن أخلاصهم للاسلام بالعمل قبل القول ،
والايتروا لأعدائهم ثلمات ينفذون منها اليهم لأن الصليبية المقلعة ،
والامبريالية الجائرة ، والصهيونية الباغية ، كلها متحالفة عليهم لابطال
أعمالهم ، وافساد مخططاتهم ، وتريق صفوفهم ، وتشويه ثورتهم .
فاينما التفتنا رأينا الخلافات والنزاعات ، ان مقاومة الخطر الذى قد
يأتينا من الداخل ، أشد من مقاومة العدو الخارجى .

ولكم يعز علينا أن نرى جهود الثورة الايرانية تتبعثر فى تيار
الخلافات والنزاعات الداخلية ، التى تحرك خيوطها وتعمل على
تصعيدها يد أجنبية خفية ، حتى يتسائل الصديق فى حيرة والعدو فى
مكر : الى أين أنتهت هذه الثورة الاسلامية ، وما هو مصيرها ، وما
مستقبل الجمهورية الاسلامية الايرانية ؟

ولاشك أن تميم هذه الثورة العظيمة التى انتصرت على قوى
البنى والطغيان ، وابرار مايشوهها من فوضى ، وتنازع على السلطة ،
وعصريات داخلية ، وانتهاكات للقوانين الدولية ، وحركات رجعية ،
وهو من مخططات الامبريالية التى يسؤها مثل هذه الانتصارات
التاريخية ، انها تحاول دوما أن تقيم الدليل على عجزنا عن تسيير
شؤوننا بأيدنا ليرروا تدخلهم ، أو ليحملونا على اللجؤ الى من يحميننا،
ويتولى أمرنا ، والدفاع عن حقوقنا ، بصورة تلجمنا عن مصارحته
أحيانا بكلمة حق ، فيها نصح الصديق المخلص ، وتنبيهه فى لطف
الدختر التمادى فى الاعتداء على بلاد اسلامية ذات سيادة . فأين ماتم
الاتفاق عليه فى مؤتمر القمة الرابع للبلدان غير المنحازة ، الذى انعقد
بعاصمة الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ م ؟

وكيف تهون هذه الحقائق والمبادئ فى نفوس المسلمين ؟
اجتمع مؤتمر للتبشير بالقدس ، فقيل لكبير المبشرين : ان النفقات
على التبشير كثيرة ، ولكننا لم نجد من خرج من الاسلام الى المسيحية ،
فأجاب قائلاً : نعم ان المبشرين لم ينجحوا فى ادخال المسلمين
للمسيحية ، ولكنهم نجحوا فى تهوين الحقائق الاسلامية فى نفوس
الكثيرين منهم .

ولعل أكثر ما فى أوضاعنا السياسية والاقتصادية والثقافية ايلما ،
أنا نعيش بعواطفنا ، وبعقول أعدائنا ، لابعقولنا . فنحن نمارس حياتنا
كما يريدون ، لاكما نريد نحن ، كما أن من أشد الأخطار علينا أن
يتزلزل ايماننا بديننا وتراثنا وتاريخنا ، لأننا اذا خسرنا ديننا ، خسرنا معه
كل شئ ، اذا سلم لنا ديننا وخسرنا كل شئ ، استطعنا أن نسترد كل
ما خسرناه بفضل الايمان (١٥) .

ولعل من أؤكد واجب الدعوة الى الاسلام فى القرن الهجرى
الجديد ، أن يولوا عناية خاصة بتكوين رأى عام اسلامى عالمى ، يكون
له وزنه فى التأييد والانكسار ، ويقف شوكة فى وجوه كل المسيئين الى
الاسلام وأهله وضد كل الاعمال التخريبية التى تتخذ شكل الثورة ،
لتنقض على الماضى بلاهوادة ، وتخرّب المقدسات وتدوس القيم العليا ،
وأن يعملوا على افهام الغرب الذى عرف الاسلام فى القرون
الوسطى كعدو ألد ، وخطر داهم ، أنه دين الحضارة والتفتح والسلام ، اذ
ليس حتميا أن يستمر لون من العداء الخفى أو العلنى المتعصب بين
المسيحيين والمسلمين فى القرن العشرين ، اذ باب الحوار بينهما
مفتوح ، للتعاطف فى كثير من القضايا رغم اختلافهما فى بعض القضايا

العقائدية التي لا يمكن التقاؤهما فيها ، حتى يبقى المسلم مسلما ،
والمسيح مسيحيا .

يقول القس (جاك اندروز) من رجال الكنيسة المتجددة المتحدة
في بريطانيا ((ان المسيحيين عندما يقتربون من المسلمين بتلك
الروح التي يختص بها الدين وحده ، سيلقون ترحيبا حتى من أشد
الفئات تطرفا وأن المسيحيين الذين عرفوا الاسلام ، وعاشوا في
البلاد الاسلامية قد اكتشفوا أن عيسى القرآن وعيسى الانجيل ،
يمكنهما الاتفاق اذا هما وقفا وجهها لوجه)) (١٦) .

وعلى المنظمات الاسلامية أن ترعى شؤون جالياتنا الاسلامية
في أوروبا وأمريكا ومساعدة المجلس الاسلامي الأوروبي الذي يعمل
جاهدا على حماية الحياة الدينية والثقافية للمسلمين في أوروبا ،
والمحافظة عليها ، وتعزيزها والتنسيق بينه وبين المراكز الثقافية
الاسلامية ، وبين المنظمات الاسلامية الأخرى في المانيا الغربية
وسويسرا وفرنسا والنمسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا والبلدان
الاسكندنافية ، للتعاون على حل أزماتهم السكنية ، والتربوية المتعلقة
بتعليم أطفالهم العربية والتربية الدينية والوطنية، حتى يعيشوا في أوروبا
مسلمين ، لا كقوم مغربين ثقافيا ودينيا ، لأنهم لا يستطيعون أن يندمجوا
فيهم اندماجا كليا ، ولا أن يسايروهم في جميع أمورهم ، فيعترفون لهم
بحقوقهم الاجتماعية لمساهماتهم في ازدهار اقتصادهم الوطني ،
وبحقوقهم الدينية في أعيادهم وأداء فرائضهم ، حتى ينزع الاسلام
عن نفسه في بعض البلدان الأوروبية صفة الدين الاجنبي ، سيما
وللإسلام اليوم أتباع كثيرون في أوروبا يتجاوز عددهم ستة ملايين

فى بلدان السوق الأوروبية المشتركة ، وهم من العرب والاسيويين
والأفارقة والأتراك .

وكذلك الشأن بالنسبة للأقليات الإسلامية الذين يمتحنون فى
دينهم فى بعض البلاد الأجنبية ، وسيوف القهر والقمع مسلطة فوق
رؤسهم ، فمن يرعى دينهم ، ويغذى أرواحهم ، ويدافع عن حقوقهم
غير الحكومات والمنظمات الإسلامية ، كما ترعى الأحزاب
والحكومات الشيوعية حقوق الأقليات الشيوعية وحررياتهم الأساسية
فى مختلف بلدان العالم .

لقد شيد دعائهم الأمة الإسلامية فى فجر تاريخها أهل الدعوة
الأولى : وحملة الدين الى الناس ، فانشأت حضارة متينة الأركان ،
مزهرة العمران .

ومن حقق الإسلام على دعائه فى هذا العصر ان يعلوا مناره
ويرفعوا لواءه ، وينشروه فى جميع الاصقاع ، حتى يعم خيره وفضله
وينتشر أمنه وعدله ، والله من وراء القصد .

★★★★★★★★